الفرح والحزن في القرآن الكريم

د . يحيى محمد يحيى

الفرح في اللغة نقيض الحزن ، فهو يطلق علي السرور وقد يطلق علي البطر [1] .. وقالوا : أفرحه بمعني سرّه ، وقال ثعلب الفرح : هو أن يجد في قلبه خفة والإنسان بطبعه يتأثر بما يلقي علي حواسه ومشاعره ، فما قبله وارتاح إليه كان مبعثا لفرحه وسروره ، وما تركه وضجر به كان مبعثا لحزنه وضيقه ..

والله سبحانه وتعالي ـ خلق الإنسان وركّبه وأودع فيه من الأحاسيس والمشاعر ، ما يتفاعل مع الاحداث ويتجاوب مع الوقائع التي بعيشها أو يجابهها ، بحيث إذا ما التزم الانسان بشرع ربه ، وتوجيهات بارئه ومصوره .. قضي عمره في هذه الحياة محتفظا بمشاعر حيّة وأحاسيس نابضة ونفس قوية هادئة وحواس تؤدي وظائفها بانتظام وتتابع .. أما اذا لم يلتزم بهدي ربه أو لم يعرفه ، تخبط وتضجر وأيس وتنقل من صراع الي صراع وفقد في كل واقعة حساً وضيع في كل نازلة نعمة ، وبدّد عند كل مصيبة طاقة حتي إذا ما تتابعت بلاءاته تناثرت وتمزقت أوصال مشاعره وخمدت جذوتها وضلت هدفهاوعاش صاحبا بلا وعي يذكر ، وبلا شعور يجدي فتتنكر له الإخوان وتتجافي عنه الأهل والولدان إلا من يتربص به أو يكتسب منه ..

---

(١) انظر لسان العرب مادة فرح .. والقاموس المحيط صـ ٢٤ جـ ١ ط الحلبي سنة ١٩٥٢ ..

لذلك ، كان واجبا علينا أن نستمع لصوت السماء الهادي ، ولقول ربنا الراشد لنتعلم متي نفرح ؟ وكيف ؟ ولم ؟

إن الناظر في ايات الذكر الحكيم يجد كلمة (الفـــــرح ومشتقاتها قد دارت ووردت اثنتين وعشرين مرة في إحدي وعشرين آية وهو عدد ليس بالقليل ولا بالكثير ولعل ذلك يشير الي تكـــرار وترداد حالات الفرح للانسان في عمره الذي يقضيه في تلك الحيـاة فهي حالات لا هي بالكثيرة ولا هي بالقليلة إذا ما قيست مع مـــا يعتريه من أحوال وحالات تتلون وتتشكل وتتنقل علي طول عمـــره وظروفـــه ..

أو أنه عـدد أحصي الله تعالي فيه كل ألوان الفرح التي تنتظـر حياة الانسان مع تقييم وتقدير لكل لون بغية التزود من النافـــع وترك الضار بدليل انه يمكن تقسيم هذا العدد إلي ثلاثة أقســـام هي :-

الأول :

فيه تحصر المواضع التي يكون فيها الفرح أمراً مطلوبا والمفروح به جدير بذلك ..

الثاني :

فيه تحصر المواضع التي يكون فيه الفرح أمراً مظنونا والمفروح به ليس أهلا ..

الثالث : -

فيه تنحصر المواضع التي يكون فيه الفرح أمراً ممقوتا والمفروح به مجلبة للهمّ والغم والخسران المبين ..

والقسم الأول تتبلور معالمه من خلال أيات ثلاث فقط ..

والقسم الثاني تتبلور معالمه من خلال ثماني آيات ..

والقسم الثالث تتبلور معالمه من خلال عشر آيات ...

وبالتأمل فيما بين الأعداد من قلة وكثرة نلحظ أنه قد يكون في ذلك اشارة إلي أن حياة الإنسان ليست مجالا ولا ظرفا موائما للأفراح والفخارات بل كل ما يوجب الفرح الحقيقي أمره ميسور وإحصاوه معلوم وفهمه مقدور .. أما عندما يتمرد الإنسان أو يحاول التحلل فيقابل بأمور تتسع عليه وتعتف وتتآزر ضده وتردف .. ، فإذا لم يتحرك في دائرة المطلوب الواجب ألقي بنفسه في أتون المظنون والمرجوح وهو أضعاف الواجب عدداً وكلفه ، وإذا ما خمر وتاه وغاب ، ألقي به في اكثر من سابقه وأشد منه وطأ وأحط مآلا ...

وهاهي ذي آيات الفرح المحمود والأمل المنشود لدي كل عاقل راغب في الهناءة ناءٍ عن كل ما يشين :-

الآية الأولي وهي رقم ٥٨ من سورة يونس (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) ..

والثانية وهي الآية ١٧٠ من آل عمران في حق الشهداء :

(فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون) ..

والثالثة وهي اية ٤ من الروم (ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم) ..

وبالنظر في الآيات الثلاث مجتمعة نجد انها جمعت كل خير ونفع للإنسان ، فالإسلام والجنة وما ينشأ عن العمل بهما ولهما ..

والإسلام والجنة ، إشارتان لمبعث البهجة والفرحة والمسرة في الدنيا والآخرة ، فالإسلام كدين ذي سلوك محدد ومعين إذا ما التزم به أسبغ السعادة الحقيقية وأشاعها في كل اتجاه وهذا أمر يوجب الفرح ويزيل بواعث الحزن ..

والجنة كهدف وملتقى الأحبة ، فيها كل شيء يشيع الأنس ويؤجج الحب ، ويزكي المودة ، لهي بذلك جديرة بأن يفرح بها ولها ..

ولكن أيّهما سبب في الآخر ؟ إنه الاسلام كسلوك وكخلق وكمبدأ يجلب خيرات تدوم ولا تنقطع ، تحيا ولا تفنى ، تزيد ولا تنقص . وهذه هي الجنة في حدود مقدورنا من التمثيل والتخييل ..

وبالله ، هل ما يفرح به الناس الآن ويصيحون به وعليه ، ويتركون الغرض والنافلة من أجله ، والأهل والولد ، أهو مما دعت إليه تلك الآيات الثلاث ؟

هذا سؤال يستوجب أن ندلف إلى أهل التفسير لكتاب الله

تعالي لنستجلي الأمر - فإلي الآية ٥ من يونس ...

ففضل الله هو الإسلام ورحمته هو ما وعد عليه [١] ومما يزيد الأمر تأكيداً ما ذكره المفسرون عند مطلع الآية (أصل الكلام - بفضل الله ورحمته فليفرحوا ، فبذلك فليفرحوا ، والتكرير للتأكيد والتقرير وإيجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا ، فحذف أحد الفعلين لدلالة المذكور عليه والفاء لمعني الشرط ، كأنه قيل : فرحوا بشيء فليخصوهما بالفرح فإنه لا مفروح به أحق منهما [٢].

وبالنظر في هذا الكلام نجده حاسما واضحا فيه التأكيد والتقرير ليوجد جواً كله الصدق وحب الخير والنفع ، وخروج الكلام علي معني الشرط ، والشرط لا يتخلف جوابه عند الله ، وجزاؤه زيادة في الحث والدعوة إلي الفرار إلي الاسلام كدين وخلق وعقيدة وعمل يجب ويستأهل الصبر عليه وله حتي نظفر بالجنة في ا والآخرة ، في الدنيا ، هدوء نفس وراحة صدر وثقة كبيرة في الله تعالي ، وفي الآخرة إنجاز لماوعد به الله وتحقيق سخي له .. كما أنه ختم الآية بهذه الجملة (هو خير مما يجمعون) أي ما ذكر من فضل الله ورحمته ، خير مما يجمعون من حطام الدنيا ، وفي ذلك نعي (عليهم إذا ما فرطوا في النصيحة ، وخير يساق - إليهم إذا ما التزموا ويزيد من خطر معناها وبليغ مبناها ، أن المتكلم رب ، يعلم الخير لعباده ويرقب ما يجمعونه ثم يخلفونه ، ثم

---

(١) ، (٢) راجع في ذلك الكشاف صـ ٢٤١ ج٢ ط الحلبي وصـ١٥٦ جـ ٤ أبو السعود ط دار احياء التراث ....

يحاسبون عليه .....

وفيها اشارة إلي أن خيرية الدين والعقيدة فوق ما يجمع من حطام الدنيا حتي ولو كان من حلال ، فقد ذهب في جمعه وقت كبير وجرّ علي صاحبه شغلا واهتماما ، ثم لا يفوته أن يحاسب عليه بينما الدين والتقي والرضا والهدي لا يجلبان إلا الهدأة والنعمة الكبري ..

أما آية آل عمران ١٧٠ ، فهي صورة معبرة عن منحي عظيم ينتحيه المسلم ولا يتكاسل عن ولوجه ، وهو الاستشهاد في سبيل الحق والخير وهو يعرف تماما ، أنه وإن ضحّي بروحه ، ففي ذلك إبقاء لعقيدته كريمه مصانه عزيزة في دنيا الناس ، يذور عنها كل أبي ويرخص دونها كل غالٍ ، وهو وإن ترك الدنيا فهو صائر وآيب إلي ربه وجنته ونعيمة وكل ذلك مفرح له ولكل من يحب اللحاق به من إخوانه .....

بينما الناس في هذا الزمان يكرهون الموت ويبغضون استماعه ويبكون علي من يسلك مسلك الشهداء ويتباكون علي ما يتركونه حطامات الدنيا لا تساوي شيئا ، ولو عقلوا لفرحوا واستبشروا وتمنوا

يقول الزمخشري موضحا سبب فرحهم (فرحين بما آتاهم الله من فضله ـ وهو التوفيق في الشهادة وما ساق إليهم من الكرامة والتفضيل علي غيرهم من كونهم أحياء مقربين معجلا لهم رزق الجنة ونعيمها (١)

ويذكر العلامة الرازي أن القوم قد جمعوا خيرات ثلاثة :

(١) صـ ٤٧٩ جـ ١

منفعة ، وتعظيم ، وتعلق بالرازق الكريم ، يقول صاحب التفسير الكبير (اعلم أن المتكلمين قالوا : الثواب منفعة خالصة دائمة مقرونة بالتعظيم فقوله تعالي : (يرزقون - اشارة إلي المنفعة ، وقوله : (فرحين - إشارة إلي الفرح الحاصل بسبب ذلك التعظيم وقوله : (فرحين بما آتاهم الله من فضله) يعني ان فرحهم ليس بالرزق بل بإيتاء الرزق لأن المشغول بالرزق مشغول بنفسه والناظر إلي ايتاء الرزق مشغول بالرازق .. (١)

أما الآية الثالثة وهي ٤ من الروم فهي تضع علامة من علامات الدين والتشيع له وهي الفرح حينما تعلو راية الإسلام ويرتفع أهله عن الذلة والهوان وتكسر شوكة عدوهم ، وفي ذلك الفرح استشعار برضا الله تعالي علي عباده في هذا الوقت الذي تعلو فيه رايتهم ، وفيه ، كذلك حث علي التمسك التام بدين الله والذور عنه ، وفي الآية كذلك ما يشير الي وجوب الفرح عند كل موءمن وتغليب الفرح بالنصر لدين الله فوق كا ما عداه من حطام فان ..

وبالنظر في أيامنا هذه ، نجد الناس ، قد غفلوا عن تلك الحقيقة فدين الله وأهله يعانون ويحاربون ويتجشمون الصعاب المزلزلة واخوانهم من حولهم ، في دنياهم يفرحون ، ونحو ملذاتهم ينساقون ، وعن دينهم والدفاع عنه ، يتغافلون ..

ويكشف صاحب روح المعاني عن دواعي الفرح في الآية فيقول : (ويومئذ - أي ويوم إذ يغلب الروم فارسا ، يفرح الموءمنون بنصر

(١) صـ ٩٤ جـ ٩ ط دار احياء التراث العربي ....

الله ، وتغليبه من له كتاب علي من لا كتاب له ، وغيظ من شمت بهم من كفار مكة ، وكون ذلك مما يتفاءل به لغلبة المؤمنون علي الكفار .. وقيل نصر الله تعالي ، صدق المؤمنين فيما اخبروا به المشركين من غلبة الروم علي فارس .. وقيل نصره عز وجل أنه وليّ بعض الظالمين بعضا ، وفرق بين كلمتهم حتي تناقضوا وتحاربوا ، وقلل كل منهما شوكة الآخر (١)

ومما قاله الألوسي - نلحظ أن دواعي الفرح للمؤمن قد تكون من مؤ ازرة الله لمن شابههم في إنزال كتاب عليه ، أو من وقوع ما أخبر به المؤمنون المشركين وفي ذلك عزة لهم وتصديق من السماء لإخبارهم أو من فلّ عزيمة عدوهم وكسر شوكته ففي ذلك نصرة لهم وإراحة لإعداداتهم ومبعث فأل لهم ..

وكلها - ولا شك - يستشعرها المؤمن ولا يفرق بينها ويتقرب إلي الله بالفرح بها ..

وبالتأمل في الآيات الثلاث مجتمعة نري شمولها لكل منافذ السعادة والبهجة للمؤمن ، فهي تربطه بإخوانه وأهل ملته ، وهي تحثه علي خروج من الدنيا محفوف بالإعزاز والتكريم ، وهي أخيرا تشحذ همته وتستحث عزيمته وتستجيش مشاعره إلي جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ..

وبعد أن انتهينا من الفرح الذي هو في موضعه ننتقل إلي الآيات التي تصور نوعا آخر من الفرح وهو فرح مظنون وبعيد عن

---

(١) راجع في ذلك تفسير العلامة الألوس صـ٢٠ ط دار احياء التراث العربي وكذلك الكشاف صـ ٢١٤ جـ ٣

الحق وما ذكره القرآن وعبر عنه بلفظة الفرح إلا علي حسب اعتقاد أهله وظنهم وفرحهم به لكنّ رب الناس يعرّف الناس أن هذه الأشياء لا تستحق الفرح وأن الفرحين بها قد وضعوا غشاوات علي عقولهم لو أزالوها لتيقنوا أنها لا تستحق الفرح والسر ينحصر فيما يلي :-

أ - لمشوبة هذا الشعور بالظلم والعدوة والعاقل لا يفرح إن عادي أو ظلم ..

ب - لقصر زمن المفروح به وعدم بقائه .. والعاقل لا يفرح الإ بما خلص ودام ..

ج - لعدم التمهل في فهمه وتحسس حركته .. والعاقل لا يفرح الإ بما تأكد من تقييمه ..

والآيات التي تشير الي الناحية (أ) هي :-

قوله تعالي في الآية ٥٣ من المؤمنون (فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون) ..

وآية ٣٢ من الروم (من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون) ..

وآية ٣ من غافر (فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا يستهزءون) ..

ومن النظر فيما قاله المفسرون في هذه الآيات نجد ما يلي :-

أولا :

الآيات الثلاث تحكي عن أقوام الرسل المعاندين المخالفين

الذين تحزبوا وتفرقوا وكل جماعة منهم رضيت بما عبدته وإن اتحدوا في مخالفتهم لدين الله وفي اتخاذ معبود لهم من دون الله ..

ثانيا :

أن هذه التحزبات مدعاة للتناحر والتنافر فيما بينهم من جهة وفيما بينهم وبين الموحدين المومنين من جهة أخري ، وفي ذلك إثارة لمشاعر العداوة والبغضاء دون سبب يذكر أو أن ذكر ففيما بينهم كل منهم يظلم الآخر وفيما بينهم وبين المومنين هم يظلمون المومنين ..

ثالثا :

التعبير بلفظة (فرحون وفرحوا) توحي بأن القوم ظنوا - وهم علي ضلال - أن صنيعهم هذا مدعاة للفرح ومجلبة للسرور وكذبوا فهم علي ضلال وفي ظلمات ..

رابعا :

تجمع الآيات الثلاث وما يسبقها ويتلوها في كل سورة علي ذم أولئك الفرحين لأن فرحهم مبني علي مجرد الظن ووراءه عقاب وخسران عظيم[١].. وفي ذلك ملحظ يجب الإلتفات إليه وهو أنه قد يفرح امرؤ أو جماعة ولا يحسن الحكم علي فرحهم إلا بعد أن يتحدد المفروح به من جهة والمقابل له من

(١) راجع في ذلك ما يلي : روح المعاني صـ ٤١ /١٤٢ جـ١١ والكشاف صـ ٢٢٢ جـ ٣ أبو السعود صـ ٧ ٢ جـ ٧ والكشاف صـ ٤٣٩ جـ ٣

جهة اخري ، فإن روي في المفروح به ضلالا وفي مقابلة شرفا وحقا كان فرحهم مجرد وهم وظن وعلي العاقل أن يتجنبه. وما أكثر ما تمتلئ به الحياة من أوهام ومعتقدات بالية يصيح بها أهل الشر والمجون ويحاولون بها النيل من أهل الحق وعقائدهم ..

وقد يكون الفرح مظنونا نظرا لسرعة تقضية وعدم ضمانة وبقائه مع المفرح به من الناس وهذا هو ما تحكيه آيات الناحية (ب) وآياتها هي :-

قوله تعالي في سورة الرعد آية ٢٦ (الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع) ..

وقوله في سورة النحل آية ٣٦ (فلما جاء سليمان قال أتمدونن بمال فما آتاني الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون) ..

وآية الرعد تلفت الانظار إلي كل ما يتصل بالدنيا فهو بالنسبة للآخرة نذر قليل النفع سريع النفاذ ومن تعلق به فرحا مبتهجا ففرحه في غير موضعه لأنه مقطوع عنه بالموت أو لأن الفرح منقض وزائل بتغير ، الأحوال من بسط الي قبض .. وكان جديرا به أن يتعلق بالباسط وهو الله تعالي ويعبده حتي لا يكون مستدرجا بتلك النعمة ..

والعلامة أبو السعود وغيره من المفسرين(١) يشير إلي أمور في الآية

---

(١) أبو السعود صـ ١٩ جـ ٥ والكشاف صـ ٣٥٩ جـ ٢

فيها من البلاغة ما يؤدي الي غرضنا في هذا المقام فهو يشير إلـــي التوكيد والتقرير من أن بسط الرزق وتضييقه محتمل وقائم وأن هذا بيد الله وحده لابيد غيره ، وذلك آت من أسلوب القصر (اللـــه يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) أي لا أحد غيره هم يقوم بتلك المهمة وكذا في أسلوب القصر في عجز الآية والذي ينعي علي هؤلاء الفرحين (وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع) فهو ينفي أن يكون المفروح به شيئا يستحق الفرح ويثبت الجدارة والأهمية لما هو مرتقب فـــي الآخرة وذلك زيادة علي ما في الجملة من ايحاءات وظلال تحس مـن التعبيرات اللفظية بكلمة (دنيا) وما فيها من السفل والوطـــاءة والدنو وكلمة (في الآخرة) وما فيها من تركيز علي الآخرة وأن - العبرة بها لا بما في الأولي وكلمة (إلامتاع) بتوجيه الاثبات الي كلمة (متاع) وصيغتها المنكرة والمفيدة للتحقير والتضليل وهمـــا خستان للموصوف الواحـد ..

وبهذا لا يكون الفرح هنا إلا فرحا مظنونا لا يحدث إلا مـــن ضعاف العقول ..

وأما آية النحل فتحكي ردّ سليمان عليه السلام علي قوم بلقيس المشغولين بالدنيا ومتاعها أما هو فمن أهل الآخرة وممن يقّدرون ، متاع الدنيا بمقداره الحقيقي وهو أنه ليس جديرا بالفرح بل الفرح كلـــه في الآخرة وما يهدي إليها (بل أنتم بهديتكم تفرحون) أي فرح افتخار واعتداد بها ..

وواضح أن بلاغة الإضراب هنا بالحرف (بل) فائدته التنبيه

إلي أن امداده عليه السلام بالمال منكر قبيح ، قيل ويفيء عن اعتدادهم بتلك الهدية التنكير في قول بلقيس (وإني مرسلة إليهم بهدية) ومما يزيد من قبح المفروح به هنا أن الكلام قد يكون علي الكناية أي انه عليه السلام أراد أن يرد عليهم بما مقصوده : أنتم من حقكم أن تفرحوا بأخذ الهدية لا أنا فخذوها وافرحوا .. وهو معني لطيف كما يري الألوسي (١) ..

ورده عليه السلام هدية القوم فيه تدليل علي أن المفروح به عندهم لا يستحق الفرح عند أهل الله وكونهم قاسوا حاله علي حالهم مما يدل علي قصورهم في التفكير ..

وقد يكون الفرح مظنونا لعدم التمهل والروّية في استقباله وإدراك جوانبه وأسبابه ودواعيه .. والآيات التي تعين علي فهم هذه الناحية ..

الآية ٢٢ من يونس ، ٣٦ من الروم ، ٤ من الشوري ..

وآية يونس هي (هو الذي يسيركم في البر والبحر حتي إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم احيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا لنكونن من الشاكرين) ..

وآية الروم (إذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون) ..

---

(١) راجع الكشاف صـ ١٤ جـ ٣ والألوسي صـ ٢٠٠ جـ ١٩

وآية الشوري (وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة فرح بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور) ..

والآيات الثلاث وردت فيها لفظة (فرح) تعبيرا عن الابتهاج السريع الذي لا يلبث أن يزول مع تقلبات الأحوال وتداول الأيام واللحظات وذلك وصف للإنسان المتسرع الذي لا يربط الأحداث ، بأسبابها ونتائجها ولا يتقبل الأمور مع احتمال تقلباتها ولا يتخيل ترحا إثر فرح أو شقاء بعد راحة ، فهو بذلك يعيش في الدنيا ولا يعرفها وتتخطفه الأحداث ولا يعيها ويعيش متقلبا في الشقاوات والعذابات أما إن صفت نفسه وعرف ربه أسلم له الأمر وشكر مخلصا عند النعمة ، وصبر ثابتا عند المحنة فهو بربه في كل حال وإلا يكون فرحه فرحا مظنونا لادوام له ولا أثر حسن منه ..

ولاحظ المفسرون بلاغة الالتفات في آية يونس ، وأن القصد منه أن يعجب الله تعالي من حالهم فهم لا يذكرون الله إلا عند الشدة وبعد ما يزيلها سبحانه إذا هم ينشغلون عنه ويتلهون بما لا يليق وفي ذلك إنكار وتقبيح لهم ولأمثالهم .. والإلتفات عند قوله تعالي (وجرين بهم) بعد قوله (يسيركم - كنتم) يقول الزمخشري (فائدة صرف الكلام عن الخطاب الي الغيبة هي المبالغة ، كأنه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستدعي منهم الإنكار والتقبيح[1]

وآية الروم تؤكد علي جحود الإنسان إذا ما قابل الشدة

---

(١) الكشاف صـ ٢٣١ جـ ٢

بقنوط ويأس بينما يقابل الصحة والسعادة بالفرح البطر وكان جديرا به أن يقابل الشدة بالصبر والأمل والثانية بالشكر والحمد ..

فالله تعالي اجري نظامه في ملكه بأن زاوج بين السراء والضراء وكلتاهما خير ونعمة للإنسان عرف أم لم يعرف ، رضي أم كره لذا كان فرحه بالسراء وقنوطه بالضراء ، تصرفاً غير محمود لأنه فرح فرحا مظنونا غير منظور فيه لقرينه ومقابله في هذا الحياة ، مع أن من رحمته تعالي الإكثار من إحداث السراء والإقلال من إنزال الضراء ، وهذا ما أشار اليه الألوسي والزمخشري [1] من بلاغة التعبير (بإذا) في الآية بجانب الرحمة دون السيئة يقولان في الآية (رحمة) أي نعمة من صحة وسعة ، وجوابها - بطروا وأشروا فإن الفرح المذموم دون الفرح حمدا وشكرا .. والسيئة الشدة .. إذا هم - يقنطون - فاجأوا القنوط من رحمته عز وجل ، والتعبير بإذا الرحمة وكثرتها دون المقابل وفي نسبة الرحمة إليه تعالي دون السيئة تعليم للعباد أن لا يضاف إليه سبحانه الشر ، وهوكثير ..

وآية الشوري قريبة من اية الروم في الغاية من إيرادها مع اشارة لطيفة ذكرها العلامة أبو السعود عند قوله (وإن تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم فإن الإنسان كفور) ولم يقل (فإنه كفور) أي بوضع الظاهر موضع الضمير للتسجيل علي أن هذا الجنس موسوم بكفران - النعم [2] وما جلب علي نفسه هذا الوصف إلا تعجله بالفرح ،والبطر إبّان أحداث تستوجب الحمد والشكر وتوقظ صاحبها الي احتمال

(١) الكشاف صـ ٢٢٢ جـ ٣ والألوسي صـ ٤٣ جـ ٢١

وقوع الضد ، وأن كلا منهما خير إذا ما أحسن المرء استقبالهما.

والي هنا نصل إلي النوع الثالث من أنواع الفرح ، وهو الفرح الممقوت وهو لايقع إلا من أهل المعاصي والشرور ، وهو يختلف عن سابقه فسابقه ليس صاحبه مداوما علي المعصية أو علي هذا الشعور بل قد يفيق ويحس حاله أما هنا ، فالفرحون إما مشركون أو منافقون أو مسلمون انشغلوا بالنعمة عن المنعم أو أنهم قوم متهربون من الواجب ، أو مزيفون للحقيقة .. فهذا إصرار علي الضلال والمعصية وفي سابقه تصوير لحالات تعتري نوعا من الناس لكنهم ليسوا أهل ضلال ولا شرك ..

ومن الآيات التي تخبر بهذا النوع من الفرح آيات :-

أ - يحدث فيها الفرح من أهل الشر في إهل الخير والحق عندما يبتلون من الله تعالي ..

ب - يحدث فيها الفرح بالنعمة دون المنعم ..

ج - يحدث فيها الفرح عند التهرب من الواجب ..

د - يحدث فيها الفرح عند القدرة علي الزيف وإيقاع الشبهات ..

والآيات التي تجلي الناحية (أ) هي آيتا (١٢٠ ، ١٧٩) من آل عمران ..

قوله تعالي : مخاطبا رسوله الكريم والمؤمنين معا :(إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا إن الله بما يعملون محيط) ..

وقوله (لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم) ومثل الأولي آية ٥٠٠ من التوبة (إن تصبك حسنة تسوءهم وإن تصيبك ، مصيبة يقولون قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون)

والآية الأولي من تمام وصف المنافقين ، فهم مترقبون نزول نوع من المحنة والبلاء بالمؤمنين حتي يفرحوا منهم ثم يغتمون بحصول نوع من أنواع الحسنة للمسلمين (١) ويلاحظ ابن عطيه (٢) (ان الله تعالي ذكر المس في المحنة ليبين أن بأدني طروء الحسنة تقع المساءة بنفوس هؤلاء المبغضين ، وفي السيئة ذكر لفظ الإصابة وهي عبارة عن التمكن لأن الشيء المصيب لشيء هو متمكن منه أو فيه فدل بذلك علي شدة العداوة إذ هو حقد لا يذهب عند نزول الشدة بل يفرحون بنزولها بالمؤمنين)

فبالله ، هذا النوع من الفرح لا يوصف إلا بالمقت والبغض من قبل الله ومن كل عاقل ، فهم بهذا يشمتون في هؤلاء المؤمنين مع أنهم لا يشكلون عليهم خطرا كما أن رقابتهم علي المؤمنين دائمة في السراء والضراء وفي ذلك مضاعفة ومبالغة في الكيد للمسلمين لكن الله تعالي أرشد المسلمين الي ما يزيل هذا الضرر وذلك بالصبر والتقوي .. وقد لاحظ أبو حيان (٣) بداعة بلاغية في ذكر السيئة

---

(١) تفسير الرازي صـ ٢٠٢ ، ٢٠٣ جـ ط دار احياء التراث العربي
(٢) تفسير أبو حيان صـ ٤٢ مجلد ٣ ط دار الفكر ..
(٣) المرجع السابق بصفحته .....

مقابل الحسنة والفرح مقابل المساءة وبلاغتها آتيه من معنـــــــي الشمولية في التتبع لما ينزل بالقوم ..

والآية الثانية في حق اليهود كما قال ابن عباس (هم اليهـود حرفوا التوراة وفرحوا بذلك وأحبوا أن يوصفوا بالديانة والفضـــل فالموصول عبارة عن المذكورين ، أو عن مشاهيرهم وضع موضع ضميرهم والجملة مسوقة لبيان ما تستتبعه أعمالهم المحكية من العقاب الأخروي إثر بيان قباحتها وقد أدمج فيها بيان بعض آخر من شنائعهم وهو إصرارهم علي ما هم عليه من القبائح وفرحهم بذلك ومحبتهم لأن - يوصفوا بما ليس فيهم) (١)

وواضـــح من هـذا أن صفة الفرح هنا من هؤلاء القوم شنيعـــة وخسيسة فهوفرح ممقوت إذ كيف يفرح بالزيف والتضليل ويحب ان يحمدوا بما لم يفعلوا ، فلا جزاء أنسب من نار تحوطهم وتكافئهـــم (فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم) ..

ومما هو قريب من ذلك ومعه في المقتوالبغض هذا الفـــــرح الذي ذكرته الآيـة ٧٥ من غافـر وهي (ذلكم بما كنتم تفرحـــون في الأرضن بغير الحق وبما كنتم تمرحون) ..

وواضح هنا أن الفرح ممقوت لصدوره من منكر كافر إثر ارتكابه مخالفة من مخالفاته لأهل الحق والخير في الدنيا ..

وفي الآية نوع من التوبيخ الشديد وذلك يفهم من ربطهـــــا

(١) أبو السعود صـ ١٢٥ / ١٢٦ جـ ٢

بالآيات قبلها وهي (الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا ..... الي قوله (ذلكم إذ يري في ذلك أبو السعود[1] هذا فيقول (ذلكم - أي الاضلال - بما كنتم تفرحون في الأرض - أي تبطرون وتتكبرون بغير الحق - وهو الشرك والطغيان وبما كنتم تمرحون تتوسعون في البطر والأشر .. والإلتفات للمبالغة في التوبيخ لأنه بعد ضمير الغيبة في (الذين كذبوا) عدل إلي ضمير الخطاب في ذلكم ....) ..

وهناك نوع من الفرح الممقوت يتمثل في التهرب من الواجب الذي تنقاد له كافة المكلفين وتحكي ذلك الآية ٨١ من التوبة (فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا - بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون) ..

والآية هنا تحكي فرحا لمن قعد عن واجب وتكاسل عند اداء أمانة وذلك لما علم الله من نفاقهم وكفرهم .. والمخلفون هنا أي الذين خلفهم النبي (ﷺ) بالإذن لهم في القعود عند استئذانهم أو خلفهم الله بتثبيطه إياهم لما علم في ذلك من الحكمة الخفية أو خلفهم كسلهم أو نفاقهم[1]

وبالتأمل في حكمة (وكرهوا) إثر كلمة (فرح) تثير توهما قام بنفوسهم بأنهم يكرهون الضرر ويفرحون للنفع والسلامة مع

---

(١) أبو السعود صـ جـ ٤ والكشاف صـ ٢٠٥ جـ ٢

أن الحقيقة عكس ذلك تماما ، فما كرهوه تنافس عليه أهل الخير والإيمان ، وما فرحوا به بكي وحزن له أهل الإيمان والتوحيد الخالصن إذن ففرحهم فرح ممقوت لأنه معكوس الهوية ومقلوب الروية ..

يقول أبو السعود (وكرهوا أن يجاهدوا ..... الخ الآية - لا إيثارًا للدعة والخفض علي طاعة الله تعالي فقط بل مع ما في قلوبهم من الكفر والنفاق فإن إيثار أحد الأمرين قد يتحقق بأدني رجحان فيه من غير أن يبلغ الآخر مرتبة الكراهية) ويضيف (وإنما أوثر ما عليه النظم الكريم علي أن يقال وكرهوا أن يخرجوا إلي الغزو إيذانا بأن الجهاد في سبيل الله مع كونه من أجل الرغائب وأشرف المطالب التي يجب ان يتنافس فيها المتنافسون قد كرهوه كما فرحوا بأقبح القبائح الذي هو القعود خلاف رسول الله (صلي الله عليه وسلم) (١)

وهناك النوع الأخير من الفرح الممقوت وهو الفرح بالنعمة دون المنعم وآياته الحاكيات هي : ٤٤من الانعام ، ١٠٠ من هود ، ٧٦ من القصص ، ٢٣ من الحديد ..

وآية الانعام هي قوله تعالي : (فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتي إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغته فإذا هم مبلسون) ..

---

(١) أبو السعود صـ جـ ٤ والكشاف صـ ٢٠٥ جـ ٢

وآية هـود (ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهـب السيئات عني انه لفرح فخور) ..

وآية (إن قارون كان من قوم موسي فبغي عليهـم وآتيناه من الكنوز ما أن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة إذ قـال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين) .. وآية الحديد (لكيلا تأسوا علي ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختـال فخور) ...

وواضح في الآيات الأربع الجامع المشترك وهو الزهو والفرح والفخار عند نزول النعمة وهـذا أمر يلهي ويشغل عن منزل النعـم ومجري الخير وهو الله تعالي بدليل التصريح في الآية الأولي (فلما نسوا ما ذكروا به) وفي الآية الثانية (لفرح فخور) وفـي الثالثة (إن الله لا يحب الفرحين) .. وفي الرابعة النهي الصريح بعدم الفرح (ولا تفرحوا بما آتاكم) ...

وآية الأنعام تشعر بأن القوم حينما تمادوا في غيّهم ولم تزدهم النعم شكراً لربهم وحمدا علي خيره وكرمه فاجأهم الله ليكون ذلك أشد وافظع ..

ودلالة (حتي) في الآية علي الغائية ولادلة (إذا) في الآية علـي المباغته ودلالة الجملة الاسمية هم مبلسون) بإيحاء اتها المفعمـة بدوام اليأس وشمول النكال .. يقول أبو السعود (وحتي - غائية كانه قيل ففعلوا ما فعلوا حتي إذا ما اطمأنوا بما اتيح لهم وبطروا واشروا أخذناهم بغته أي نزل بهم عذابنا فجأة ليكون أشد عليهم وقعـا

وأفظع هولا .. فإذا هم مبلسون) جملة اسمية فيها دلالة علـــــي استقرارهم علي تلك الحالة الفظيعة) (١)

فأي فرح يستحق التهيوء والاهتمام به أبغض وأكثر مقتا مـــن فرح يجر عليهم هذا الوبال والنكال ..

وآية هود قريبة من ذلك تماما ، وأما آية القصص فهي تنعـــي علي الفرحين بتلك الطريقة لذا جاء النهي (لاتفرح) وأعقبه كلام مقرر وموكد لعلة النهي (إن الله لا يحب الفرحين) وفي ذلـــك تنبيه كما يذكر الألوسي علي أن عدم محبته تعالي كاف في الزجر عما نهي عنه فما بالك بالبغض والعقاب .. إذ لو تبصر الفرح فـــي الدنيا لعلم أن ما فيها من لذة مفارق لامحالة وذلك يوجب الشرح حتما ..

ومن جميل ما قالوه :-

وإذا نظرت فإن بوءسا زائلا ... للمرء خير من نعيم زائل (٢)

وآية الحديد من أجلّ الآيات واشملها نفعا وعظة ، لا سيمـــا وقد استخدمت فيها ايحاءات ودلالات الالفاظ علاوة علي ترابـــط الكلام وصياغة التراكيب فتصير الآية بهذا التعليل البليغ) لكيـلا تأسوا علي ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم) أي أخبرناكم بذلـــك لئلا تحزنوا علي ما فاتكم من نعم الدنيا - ولا تفرحوا بما آتاكم فإن من علم أن الكل مقدر يفوت ما قدر فواته ويأتي ما قـــدر

---

(١) الكشاف صـ ١٩ جـ ٢ وأبو السعود صـ ١٢٣ جـ ٣
(٢) راجع ذلك - الكشاف صـ ١٩ جـ ٣ والألوسي صـ ١١٢ جـ ٢٠

إتيانه لا محالة ، لا يعظم جزعه علي ما فات ولا فرحه بما هـــو آت) (١)

والفرح هنا هو الفرح المذموم الذي يوجب بطرا واختيالا بدليل التعقيب بعده بهذه الجملة الاسمية المثبته والتي تقضي أن يكون ، هناك حب من الله لهذا الصنف من الناس ، فإن من فرح بالحظوظ الدنيوية وعظمت في نفسه اختال وافتخر بها لا محالة ..

ويلاحظ في الختم بالنهي عن الفرح أنه أقبح من الأسي علـــي الغائب وفي ذلك وتشديد في النكير علي من يفرح بما يدوم أو يختال بما سيفارقه (٢)

هذا هو العرض القرآني الذي تدور فيه كلمة الفرح ، وقـــد رأينا أنها لاتكون في محلها إلا أن كانت مقرونة بنصر من اللـــه لأهل الحق والخير أو بنيل للشهادة في سبيل الله أو بالفوز المحقـــق في الجنة وما عدا ذلك فهو يدور بين مظنون في وقوعه أو ممقوت في حدوثـــه ....

والآن إلي العرض القرآني الذي تدور فيه كلمة (الحـــزن) لنري لطف الله وكرمه في تكوين الإنسان وغرز المشاعر الخفيـــة فيه والتي تمكنه في كل حـال من إفراز أحاسيس الصبر مع الشعور بالحزن حتي تتصاحب وإن قلت درجة احداهما عن الأخري لكنها موجودة والأمر يرجع إلي بصر الإنسان وصلته بربه ليصيغ تلـــك

---

(١)،(٢) راجع في ذلك صـ (١) (٢) جـ ٨ أبو السعود .....

الأحاسيس ويحركها تحريكا خاصا .. يضمن له رضا ربه واحتساب ما فقد عنده ..

والحزن بالضم ويحرك بمعني الهمّ .. وأحزنه جعله حزينا وهو نقيض الفرح وخلاف السرور ..

وقد لوحظ أن دوران كلمة الحزن ومشتقاتها قد بلغ إحدي وأربعين دورة قد أمكن متابعتها لاستكشاف أنها تحركت علي النحو التالي :-

أ - مجموعة منها تحكي أمورًا تستدعي حزنا وصبرا والحزن أشد وهذه مركوزة في الدين وفي الولد وهي تنتظم خمس آيات ..

ب - مجموعة أخري تحكي أمورا تستدعي صبرا وحزنا والصبر أولي وهذه معللة بمعيّة الله تعالي أو اشفاقا منه تعالي علي نفس عبده ومخلوقه وهي تنتظم ثلاث عشرة آية ..

ج - مجموعة ثالثة وأخيرة تبشر بالأمن والطمأنينة وتزيل الخوف والحزن وهذه تشمل بخيرها وبشرياتها الدنيا والناس من مبدئهما حتي نهايتهما وتجديد التفاؤل إلي الضالين من الناس وتقديم التوجيه النافع لأهل الله - ثم أخيرا تسوق صورا ومبشرات لأهل التقي والصلاح في الدنيا والآخرة وهذه التحركات تضم في مجموعها ثلاثا وعشرين آية ...

ولنبدأ بالمجموعة الأولي وآياتها هي :-

١٥٣ من آل عمران ، ٩٢ من التوبة ، ١٣ - ٤ - ٦ من يوسف

والآيتان الأوليان تتناولان الاهتمام والاحساس بالحزن تجاه دين الله تعالي وما آل إليه حال القوم بعد تقصيرهم وعدم التزامهم بما أمر رسولهم أو حزنهم علي عدم القدرة علي المشاركة في الجهاد لرفع راية دين الله ..

والآية الأولي ٥٣ من آل عمران تقول :-

(إذ تصعدون ولا يلوون علي أحد والرسول يدعوكم فيأخراكم فأثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا علي ما فاتكم ولا ما أصابكم والله خبير بما تعملون) ..

فهي تثبت أن هناك حزنا أصاب القوم وغمّ علي نفوسهم ومشاعرهم فأوقع الله تعالي ما سمعوه في حق الرسول الكريم من الإرجاف بقتله وكسر رباعتبه مقابل ما شاهده عليه السلام في أصحابه من قتل وجرح .. وهذه مقابل تلك حتي لا تنصرف أحزانهم علي الظفر بالمشركين وغنائمهم والفرح بالنصر .. هذا علي أن الضمير في (فأثابكم) للرسول أي فآساكم في الأغنام [٢] وواضح من صياغة الآية (لكيلا تحزنوا) ووقوع هذه الجملة معللة وموضحة لسبب ايقاع هذا الغم وتصريفه إليهم وإلي الرسول الكريم ... وورود المضارع بصيغته المدِلة علي التجدد والحدوث لفيه أكبر النفع والتوجيه علي عدم المبالاة بأحداث الحياة بشرط الأخذ بالأسباب ..

ويقوي من قيمة هذه النصيحة الغالية ما قيل إن المعني (جعلكم مغمومين يوم أحد في مقابلة ما جعلتموهم مغمومين يوم بدر لأجل

---

(١) اللسان لابن منظور مادةحزن والقاموس صـ ١٥ جـ ٢
(٢) راجع ذلك الكشاف صـ ٤٧١ جـ ١

أن يسهل أمر الدنيا في أعينكم فلا تحزنوا بفواتها ولا تفرحوا باقبالها .. وفي هذا المعني توسيع لمدي العبر والتحمل لمواجهة أقدار الحياة ، واحتمال كل شيء بحيث يواجه بما يحيله قدرا ، إلهيا مقبولا ..

وأما الآية الثانية فهي قوله تعالي حكاية للذين حزنوا علي تخلفهم عن الجهاد مع رسولهم مع انهم غير قادرين ورسولهم لم يجد ما يحملهم عليه (ولا علي الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا واعينهم لفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون) ..

وهذه الآية تصور مدي تألم القوم حينما لم يشاركوا في رفع راية الحق وتصور كذلك كم كان رسول الله (صلي الله عليه وسلم) حريصا علي تطييب خواطرهم بدلائل صياغية في الآية منها ان إيثار قوله (لا أجد) بدلا من ليس عندي) فيه ما فيه من تلطيف الكلام وتطييب قلوب السائلين كأنه (ص) يطلب ما يسألونه علي الاستمرار فلا يجده .. ثم ما يصوره الفعل (تولوا) من وقوعه جوابا لإذا أي كان ردهم المغادرة والترك عن اسي وحزن يحكيه الفعل (تفيض) أي تسيل أعينهم بشدة من الدمع وهو أبلغ من (يفيض دمعها) لإفادتها أن العين بعينها صارت دمعا فياضا كما أن في نصب (حزنا) حكاية للسبب الذي فاضت من أجله عيونهم بالدمع [1]

---

(١) راجع في ذلك الكشاف ص ٢٠٠ جـ ٢ وابو السعود ص ٩١ جـ ٤

وهاتان الآيتان ملحوظ فيهما أنهما يحكيان أحداثا من المسلمين الأوائل اعتصرهم فيها الحزن لا من أجل مكسب فاتهم أو دنيا فاتوها وإنما من أجل دينهم وعقيدتهم ورسولهم ..

أما الآيات الثلاث فهي من سورة يوسف وتصور الحزن الذي يعتري الآباء علي ابنائهم والأب هنا سيدنا يعقوب وولده هو سيدنا يوسف عليهما السلام ..

والأولي هي ١٣ من السورة والثانية ٤ ، والثالثة ٦

والأولي قوله تعالي حكاية (قال إني ليحزنني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون) والثانية (وتولي عنهم وقال يا أسفي علي يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم) والثالثة (قال إنما أشكو بثي وحزني إلي الله وأعلم من الله ما لا تعلمون)

والأية الأولي تصور مدي صدقه في مشاعره ومدي تقبله علي مضض ، ما طلبوه منه ، معتذرا إليهم بشيئين أحدهما أن ذهابهم به ومفارقته إياه مما يحزنه لأنه كان لا يصبر عنه ساعة .. والثاني خوفه عليه من عدوة الذئب إذا غفلوا عنه برعيهم ولعبهم أو قلة اهتمامهم ولم تصدق بحفظه عنايتهم .. والحزن ألم القلب بفوت المحبوب والخوف وإنزعاج النفس لنزول المكروه ولذلك أسند الأول إلي الذهاب به المفوت لاستمرار مصاحبته ومواصلته ليوسف والثاني إلي ما يتوقع نزوله من أكل الذئب ويزيد من تصوير تأثيره مجيء الجواب من السؤال وهو ما يسمي في علم المعاني (بالإستئناف) إذا المعني أن قال : استئناف مبني علي سؤال من يقول فماذا

قال يعقوب ؟ فقيل قال إني ليحزنني [١]

والآية الثانية : تصور حاله بعد ما وقع ما تحسبه) وابيضت عيناه من الحزن) لأنه إذا كثر الاستعبار محقت العبرة سواد العين وقلبته إلي بياض كدر والحزن كان سبب البكاء الذي حدث من البياض فكأنه حدث من الحزن وفي ذلك إيماء بأن الحزن صار مسيطرا عليه ومحركا لكل ما يقع به وأنه لا شيء سوي الحزن أثر علي عينيه ولولاه ما ترك البكاء هذا الأثر .. وهذا تصوير لحنان الأبوة العالي [٢] ..

والآية الثالثة : تحكي حثه لبنيه علي أن يتحسسوا لعلهم يجدون أخاهم فهو دائم الشكوي والبث إلي الله تعالي .. وفي تدليل كلمة (البث) وايحائها أثر بعيد إذ هي أصعب الهمّ الذي لا يصبر عليه صاحبه فيبثه إلي الناس .. وفي هذا ملحظ موءداه أنه لم يعد يحتمل هذا الهم وأنه كذلك ليس باثّاً له إلا لله تعالي الذي يثق فيه أنه مرجعٌ له ولديه .. وقد كان) [٣]

ولعله واضح أن سيطرة الحزن علي الصبر هنا ، ليس من باب التمرد علي قضاءات الله وإنما هي ذات شقين : الأول إمدادها بعاطفة أبوية مشبوبة لا دخل له فيها والثاني : تغذيتها برجاءات وظن حسن في الله .. وقد كان لذا يقول الزمخشري :

فإن قلت كيف جاز لنبي الله أن يبلغ به الجزع ذلك المبلغ ؟

(١) ، (٢)، (٣) راجع في ذلك الكشاف صـ ٣٠٦/ ٣٣/ ٣٣٩ جـ٢ وأبو السعود صـ ٢٥٧ جـ ٤

قلت : الإنسان مجبول علي أن لا يملك نفسه عند الشدائد من الحزن ولذلك حمد صبره وأن يضبط نفسه حتي لا يخرج إلي ما لا يحسن (١).....

والآن إلي القسم الثاني من أقسام الحزن وهو ما شاركه أو ما يمكن أن يشاركه فيه الصبر والصبر أولي ..

وهذا القسم الثاني يعلو فيه جانب الصبر والتصبر لأن الله تعالي يضم المبتلي في معيته أو أنه سبحانه يتجلي عليه بإشفاقاته وملاطفاته ..

ويندرج تحت الأول أربع آيات وتحت الثاني تسع آيات والآيات التي تستدعي صبراً وحزنا والصبر أولي لمعيّة الله المكتنفة للمبتلي هي :-

١ - قوله تعالي في الآية ٤٠ من سورة التوبة (إلا تنصروه فقد نصره الله إذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذهما في النار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم يروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلي وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم) وآية ٢٤ من مريم فناداها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا) وآية ١٠ من المجادلة (إنما النجوي من الشيطان ليحزن الذين آمنوا وليس بضارهم شيئا إلا بإذن الله وعلي الله فليتوكل المؤمنون

وواضح أن الآيات الأربع فيها حزن وارد قد أمر بالكف عنه

في الثلاث لأن الله يحوط المحزون ويرعاه وهو كفيل بأن يبدد ذكره ظلام الغم ويذهب بالحزن ..

وقد كان مع الرسول الكريم وصاحبه بدليل قوله بعد (فأنزل الله سكينته .... الي آخر الآية) وكذا في آية النحل بأن تلي احداث غزوة أحد انتصارات وانتصارات للرسول الكريم وصحبه وكذا عنايات الله لم تتخل عن السيدة مريم .... أما الآية الرابعة فهي تشير إلي المعية من ناحية أن المؤمن قلبه معلق بربه دائما فليس للشيطان عليه سلطان إلا أن يصادف قدر الله وقضاءه ..

ويؤكد ما اشرنا إليه في آية التوبة قول أبي السعود (لاتحزن إن الله معنا - بالعون والعصمة - ويضيف (والمراد بالمعية الولاية الدائمة التي لا تحوم حول صاحبها شائبه شيء من الحزن [1] وهذه الجملة المقررة والمؤكدة) إن الله معنا وردت معللة للنهي السالف (لاتحزن) وفي هذا ما يكشف أن معيّة الله سبب في إزالة الحزن والتجاوز عنه والعلّو فوقه ..

والذي في آية النحل سواء كان الحزن علي الكافرين وكفرهم أم علي المؤمنين وما فعله بهم الكافرون في أحد فإن النهي علي الأمرين مجاز لا حقيقة إذ المقصود به تسليته والتخفيف عنه (صلي الله عليه وسلم) وجيء بالمضارع - تحزن - استحضارا - للصورة الماضية [2] إمعانا في إزالة هذا الشعور والبعد عنه واحتسابه

---

(١) صـ ٦٦ جـ ٤

(٢) راجع في ذلك الكشاف صـ ٤٣٥ جـ ٢ والألوسي صـ ٢٥ جـ ١٤

ذلك عند الله تعالي فهو معه (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) ..

أما آية مريم كذلك فمعيّة الله هنا ، تسليتها في محنتها وبلوتها أمام القوم ، فالمنادي لها يشيع جواً من الطمأنه سواء كان جبريل أم عيسي عليهما السلام والسريّ كذلك مطمئن سواء كان - معناه الغلام رفيع الشأن سامي القدر وكلاهما تبشير وتعليل لحتمية الطمأنه وإذهاب الحزن كما أن التعرض لعنوان الربوبية في الآية (قد جعل ربك) مع إضافته إلي ضمير المخاطبة تشريف وتكريم لها وهو بعد بعيد في تعميق معني التسلية لها (١)

وأما آية المجادلة فهي تسند النجوي إلي الشيطان مع أن النجوي هنا مراد بها التناجي بالإثم والعدوان وهو واقعة من الناس ولكن اسندت إلي الشيطان لأنه سببها والمزين لها والحامل عليها وفي ذلك حث علي الاستعانة بالله منه وقوله تعالي (ليحزن الذين آمنوا) فيها دلالة علي أن المومنين قد يتوهمون أنهم في نكبة أصابتهم فيأتي القرآن (٢) ليزيل ذلك الوهم وهذا الشعور المحزن (وليس بضارهم شيئا إلا بإذن الله) فحينما يتأمل المومن قوله (شيئا) وهي منكرة لإفادة التقليل والتحقير ثم أداة الاثبات إلا) والمثبت بعدها بإذن الله ، كل ذلك مطمئن للمومن وتجديد لصلته بربه وجعله في معتة دائما .

---

(١) راجع صـ ٥٠٧ جـ ٢ من الكساف وصـ ٣ جـ ١٦ من الألوسي.
(٢) راجع صـ ٢٢٠ جـ من أبي السعود ....

وأما الشق الآخر الذي يتغلب فيه الصبر علي الحزن هو شق تتجلي فيه نسمات الرحمة والملاطفة من الله تعالي لرسوله الكريم في مواضع ثمانية له ،ولأصحابه في موضع واحد ..

والموضع الواحد هو الآية ١٣٩ من آل عمران (ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين) فهنا الكلام موجه الي الرسول الكريم وأصحابه بعدما حزن القوم علي قتلاهم وانكسرتقلوبهم من هول الهزيمة أما قوله تعالي (وأنتم الأعلون) فهي جمله منشطة للقوم وباعثة لهم علي الوثوب والحركة ورمي الحزن والوهن جانبا سواء كان معناها أنكم أصبتم منهم يوم بدر أكثر مما أصابوا منكم يوم أحد ، أو أنتم تحاربون لأجل كلمة الله وهم يحركهم الشيطان ، أو أن قتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار أو هي بشارة لهم بالعلو والغلبة أي وأنتم الأعلون في العاقبة .. أما جملة إن كنتم مؤمنين فهي جملة متعلقة بالنهي بمعني ولا تهنوا إن صح إيمانكم لأن صحة الايمان توجب قوة القلب والثقة بصنع الله وقلة المبالاة بأعدائه أو أن يكون الإيمان معناه التصديق بما يبشركم به من علو وغلبة في العاقبة (١)..

وهي ولاشك جملة ثانية منشطة ومحفزة بل ومبهجة للقوم حتي يخلعوا رداء الضعف والخور والسكون ويهبوا مجدّدين العهد ومدركين قدرهم وتمكنهم من الإرتفاع فوق الهزيمة والتهيؤ للفوز والعلو ..

---

(١) راجع الكشاف صـ ٤٦٥ ج١ والرازي ص ١٢ ج٩ وابو حيان صـ ٦٢ مجلد ٣ ..

أما الآيات الثماني المتجهة إلي رسول الله صلي الله عليه وسلم إشفاقا وتخفيفا عن نفسه التي كادت تذهب علي الكفرة حسرات من مماطلتهم وتكاسلهم عن الدخول في الإيمان وهي:-

(١) قوله تعالي : (آية ٤١ من المائدة (يا ايها الرسول لايحزنك الذين يسارعون في الكفر ..... الخ الآية)..

(٢) قوله تعالي (١٧٦ من آل عمران (ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر إنهم لن يضروا الله شيئا - يريد الله ألا يجعل لهم حظا في الآخرة ولهم عذاب عظيم) ..

(٣) آية ٣٣ من الانعمام (قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) ..

(٤) آية ٦٥ من يونس (ولا يحزنك قولهم إن العزة لله جميعا هو السميع العليم) ..

(٥) آية ٨٨ من الحجر (لا تمدن عينيك إلي ما امتعنا به ازواجا منهم ولا تحزن عليهم واخفضن جناحك للمؤمنين)..

(٦) آية ٧٠ من النحل (ولا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون) ..

(٧) آية ٢٣ من لقمان (ومن كفر فلا يحزنك كفره إلينا مرجعهم فلننبئهم بما عملوا) ..

(٨) آية ٧٦ من يس (فلا يحزنك قولهم إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون) ..

وبالنظر في هذه الآيات مجموعة نجدها خطابات لسيدنا رسول الله

صلي الله عليه وسلم تتسم بمحاولة التخفيف والاشفاق عليه صلي الله عليه وسلم وأن القوم ما لم يهدهم ربهم فلا هداية لهم ، وأنه لا يحزن منهم فإنهم سيعاقبون وأنه لا يحزن من كفرهم ولا مكرهم فكل ذلك معلوم عنده سبحانه .. وكلها مدلله علي أن الرسول الكريم كان مشغولا بكل تلك القضايا فوق ما يؤديه من دعوة وتبليغ وطاعة لله تعالي ، وفي ذلك التعب الكبير والعبء الثقيل فكانت هذه الآيات إشفاقا وإرشاداً ..

وفي التصريح بصلة الموصول في قوله (ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر) تفيد أن القوم يقعون في الكفر سريعا ويرغبون فيه أشد رغبة [1] فهل هؤلاء القوم يستحقون أو أهل لأن يحزن عليهم الرسول الكريم وهم ماضون مسرعون في ارتكاب حماقاتهم كما أن في تخصيصه (صلي الله عليه وسلم) بالخطاب تشريفا وتكريما له بالتسلية [2] والتخفيف عنه ..

وأما عن كونهم يكيدون للإسلام والرسول مهموم من ذلك فإن الله يقول له (يا أيها الرسول لا يحزنك ....) والمعني لا تهتم ولا تبال بمسارعة المنافقين في الكفر أي في اظهاره بما يلوح منهم من آثار الكيد للإسلام ومن موالاة المشركين فإني ناصرك عليهم وكافيك شرهم [3] وفي ذلك طمأنه له (صلي الله عليه وسلم) وتخفيف مما أصابه من حزن .. كما ان خطابه (صلي الله عليه وسلم) بعنوان ، الرسالة وما فيها من تشريف يعين في نفس الوقت ويشعر بما يوجب

---

(١) صـ (٤) جـ (الكشاف (٢) الألوسي صـ ١٣٢ جـ ٤)
(٣) صـ ٦١٢ جـ ١ الكشاف ..

عدم الحزن (١)..

وتنوع الجمل التعليلية في الآيات بحيث تكون رديفة للنهي عن الحزن مدعاة إلي طمأنته (صلي الله عليه وسلم) وتسليته .. فقوله تعالي :(فلا يحزنك قولهم إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون) فالمعني إنا نجازيهم بجميع جناياتهم الخافية والبادية التي لا يعزب عن علمنا شيء منها وفيه فضل تسلية لرسول الله (صلي الله عليه وسلم) ويضيف ابو السعود (وتقديم السر علي العلن إما للمبالغة في بيان شمول علمه تعالي لجميع المعلومات لأن علمه تعالي بما يسرونه أقدم منه بما يعلنونه مع استوائهما في الحقيقة فإن علمه تعالي يشمل كل شيء (٢)..

والجانب الاقتدائي بالرسول الكريم هنا هو أن يلتزم كل في مجاله بخالص الدعوة إلي الخير وصدق العزم في التدليل والتوجيه للخير وما فوق ذلك يتركه لله سبحانه وتعالي ، سواء كان ذلك في بيته وأهله أو مع إخوانه في الدين والعقيدة كل علي قدر درجة قرباً وبعداً ..

أما المجموعة الثالثة التي تبشر بالأمن وتزيل الخوف والحزن فهي تتحرك في أربع جهات هي : الأول : نداءات الله ودعوته المطمئنه والمعللة من لدن آدم حتي سيدنا محمد (صلي الله عليه وسلم) .. الثانية : الإسلام هو المنقذ لكل أصحاب الملل .. الثالثة توجيهات للمؤمنين لمجلبات الأمن .. الرابعة : تبشيراته لأهل

(١) أبو السعود صـ ٣٦ جـ ٣ (٢) أبو السعود صـ ١٧٩ جـ ٧

الحق دنيا وآخرة .

والآيات التي تجلي الجهة الأولي هي آية ٣ من البقرة (قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم مني هدي فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وآية ٤ من الأنعام (وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا يحزنون) وآية ٣٥ من الأعراف (يا بني آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقي وأصلح فلا خوف عليهم ولا يحزنون) ..

وبالنظر في الآية الأولي وهي أول بشارة لبني الإنسان تطمئنه بإزالة الخوف والحزن إذا ما هو (اتبع هدي الله بالاقدام علي ما يلزم والاحجام عما يحرم فإنه يصير الي حال لا خوف فيها ولا حزن) [(١)] وإزالة الخوف والحزن يعني (جميع ما أعد الله تعالي لأوليائه لأن زوال الخوف يتضمن السلامة من جميع الآفات ، وزوال الحزن يقتضي الوصول إلي كل اللذات والمرادات [(٢)]) وليس ذلك معناه أنه شامل للدنيا والآخرة بل هو مركوز في الآخرة أما الدنيا فقد ينال المؤمن فيها شيئا من ذلك ولذلك (حكي الله عنهم أنهم قالوا حين دخلوا الجنة : الحمد لله أذهب عنا الحزن) اي أذهب عنا ما كنا فيه من الخوف وا شفاق في الدنيا من أن تفوتنا كرامة الله تعالي التي نلناها الآن) [(٣)] وفي تقديم ضميرهم ولا هم يحزنون) إشارة إلي اختصاصهم بانتفاء الحزن وان غيرهم يحزن [(٤)]

---

(١) ، (٢) ، (٣) صـ ٢٧ ، ٢ من التفسير الكبير للرازي ..

(٤) أبو حيان صـ ١٦٩ / ١٧٠ (المجلد الأول) ....

بدليل أنه لو لم يقصد ذلك لكان قوله ولا تحزنون ، كافيا .. كما أن في اضافة الهدي إلي ضمير الجلالة تعظيما وتأكيدا لوجوب اتباعه (١) كما أن في تعلق الجارو والمجرور - عليهم (بخوف، فيه إشارة إلي) إنهم قد بلغت حالهم إلي حيث لا ينبغي أن يخاف احد عليهم (٢)

ولا شك أن الخير المركوز في مدلول الآية الأولي منسحب وسيظل علي الآيتين الآخرتين مع تلوين في عرض العبارة .. فالآية الأولي تحكي مقالة الله تعالي لآدم وزوجه وفي إرشادة لاتباع الخير إرشاد لبنيه من بعده .. والآية الثانية إخبار في اسلوب قصري (ومانرسل إلا) للتأكيد علي أن في مجيئهم الخير والنفع لأهل الحق والانذار والدمار لأهل الشر .... والآية الثالثة لا تختلف عن الثانية إلا في تصديرها بالنداء الإرشادي تنبيها واهتماما بشأن المنادي به والمحثوث عليه .. إذ في هذا اهدي الله وكلامه لا يخص أحدا علي بل الناس اجمعين من اتبع منهم هداه لايخاف ولا يحزن وإلافالحذر الحذر ..

الجهة الثانية من الطمأنه موجهة لأهل الملل الأخري تحيطهم علما بأن من فارق الضلال إلي الهدي وترك الكفر إلي الإيمان فهو ناج وفائز بشرط أن يجد متسعا يصدق فيه بقلبه ويعمل فيه بجوارحه حتي تتشرب روحه بالخير والتوحيد ويحل ذلك محل الفسوق والشك فيمحوه ويبدله .. والآيات هي :-

---

(١) أبو السعود صـ ٩٣ جـ ١ (٢) الألوسي صـ ٢٢٩ جـ ٨

٦٢من البقرة (إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصاري والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وآية ٦٩ من المائدة (إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصاري من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) .. ثم اية ١١٢ من البقرة (بلي من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وذلك إثر حكايته تعالي لما قاله اليهود والنصاري (وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصاري تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين) فقال ردا عليهم : بلي .... الخ الآية .....

والآيتان : الأولي والثانية يبين فيهما جلّ شأنه (أن هذه الفرق الأربعة إن آمنت بالله فلهم الثواب في الآخرة ليعرف أن جميع أرباب الضلال إذا رجعوا عن ضلالهم وآمنوا بالدين الحق فإن الله سبحانه وتعالي يقبل ايمانهم وطاعتهم ولا يردهم عن حضرته البتة [1]

وأما قوله (من آمن) بعد قوله (إن الذين آمنوا) فيه وجهان : أحدهما : أن يراد بالذين آمنوا الذين آمنوا بألسنتهم وهم المنافقون .. وثانيهما : أن يراد بمن آمن ، من ثبت علي الإيمان واستقام ولم يخالجة ريبة فيه [2]

وأما قوله (عند ربهم) فليس المراد العندية المكانية فإن ذلك محال في حق الله تعالي ولا الحفظ كالودائع بل المراد أن أجرهم

(١) صـ ١٠٥ ، ١٠٦ جـ ٣ من الفجر (٢) صـ ١٠٦ جـ ٣ من التفسير الكبير للرازي صـ ٦٢٢ جـ ١ من الكشاف

متيقن جار مجري الحاصل عند ربهم .. (١)

أما الآية الثالثة فهي ترد علي قوله اليهود والنصاري وتوجه للحق الصراح وهو أن الجنة وما فيها من أمن وسعادة ليست إلا لمن أسلم وجهه لله أي أسلم نفسه لطاعة الله وخص الوجه بالذكر لوجوه :
أحدها : لأنه أشرف الأعضاء من حيث إنه معدن الحواس والفكر والتخيل فإذا تواضع الأشرف كان غيره أولي .. ثانيها : أن الوجه قد يكني به عن النفس .. قال تعالي : (كل شيء هالك إلا وجهه وقال : (إلا ابتغاء وجه ربه) ومعني (لله) أي خالصا لله لا يشوبه شرك فلا يكون عابدا مه الله غيره الا معلقا رجاءه بغيره وفي ذلك دلالة علي أن المرء لا ينتفع بعمله إلا إذا فعله علي وجه العباده في الإخلاص والقربة (٢)

كما أن الجملة (وهو محسن) هذه الجملة الحالية ذات اشارات ودلالات فهي - تعني أن يكون تواضعه لله بفعل حسن لا قبيح فان الهند يتواضعون لله لكن بافعال قبيحة .. والبشارة في الآية هي ما اتبع تلك الجملة (فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، والأجر الثواب العظيم) ولا يلحقه مع ذلك خوف ولا حزن .. وفي ذلك ترغيب في هذه الطريقة وتحذير من خلافها الذي هو طريقة الكفار المذكورين من قبل (٣)

أما الجهة الثالثة التي تتحرك فيها الآيات فهي جهة التوجيه والحث علي النفع السريع والأصل الجميل في العبادات والمعاملات

(١) صـ ١٠٦ جـ ٣ من التفسير الكبير للرازي ..
(١) ، (٢) صـ ٣،٤ جـ ٤ من التفسير الكبير للرازي ..

من إيمان بالله واليوم الآخر وعمل صالح من صلاة وزكاة وصدقـــات والآيات هي :-

١١٢ ، ٢٧٧ من البقرة ، ٥١ من الأحزاب ثم ٢٦٢ ، ٢٧٤ من البقـرة كذلك وآيتا البقرة الأوليان هما قوله تعالي (بلي من أسلم وجهـــه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) ، وقوله تعالي (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون)

وآية الاحزاب هي (ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشـــاء ومن ابتغت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك أدني ان تقرأاعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن والله يعلم ما في قلوبكم وكان اللـه عليما حليما) ..

ثم آيتا البقرة الأخيرتان هما قوله تعالي (الذين ينفقون أموالهـــم في سبيل الله ثم لا يبتغون ما انفقوا منا ولا أذي لهم أجرهم عنـــد ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وقوله (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهـــم ولا هم يحزنون) ..

وبالنظر في هذه الآيات مجتمعة نجـد انها بمثابة الإرشاد والتوجيه بالحرص علي النافع والأصل المهم ..

وبالتأمل نجـد أن الآيات مجتمعة حافـز صريح لإخلاص العمـــل واسلام الوجه لله ثم حث علي الاستقامة والاستدامة في الصلاة والزكـاة

ثم العدل والتسوية بين الزوجات كداع قوي لإشاعة الطمأنينة ونشر الهدوء النفسي في الأهل ثم تحفيز آخر علي الانفاق في صورتين جميلتين الأولي دون اتباعه بمنّ ولا اذي والثانية : تعميمها في الليل والنار .. كل هذه التصرفات تستحق الطمأنه ونزع الخوف وإزالة الحزن ..

ولا شك أن الآية بلي من أسلم .... الخ) سبق أن ذكرنا أن فيها ترغيبا علي الطاعة والانقياد لله تعالي (١) والثانية (ذلك أدني .... الخ الآية) آي أقرب الي قرة عيونهن ورضاهن جميعا لأنه حكم كلهن فيه سواء ثم إن سويت بينهن وجدن ذلك تفضلا منك وإن رجحت بعضهن علمن أنه بحكم الله فتطمئن به نفوسهن (٢)

والآية الأولي في الانفاق فهي أتت مبينة للأمور التي يجب تحصيلها حتي يبقي ذلك الثواب منها ترك المنّ والأذي .. والمنّ كما يقولون هو اظهار الاصطناع اليهم والأذي شكايته منهم بسبب ما أعطاهم (٣)

والآية الثانية في الانفاق قالوا في سبب نزولها انها عامة في الذين يعمون الأوقات والأحوال بالصدقة تحرضهم علي الخير فكلما نزلت بهم حاجة محتاج عجلوا اقتضاءها ولم يؤخروها ولم يعلقوها بوقت ولا حال ولوحظ في نظمها ان الفاء في قوله (فلهم) جواب الذين لأنها تأتي بمعني الشرط والجزاء فكان التقدير من أنفق فلا يضيع أجره (٤) وهذا مما لايرتاب فيه عاقل .. فإيمان بالله واليوم الآخر مع صلاة وزكاة ،

---

(١) صـ ٤ جـ ٤ الرازي
(٢) أبو السعود صـ ١١٠ جـ ٧
(٣) صـ ٤٧ جـ ٧ الرازي
(٤) صـ ٣ / ٤ جـ ٧ الفخر الرازي

وصدقات غير مقيدة بمنّ أو بوقت لفي ذلك خير عميم يريده الله لنا وهنيئا لمن عرف فالتزم .

أما الجهة الرابعة للطمأنه والتبشير فهي تحكي ألوانا من الإكرامات والكرامات لأهل الله في الدنيا والآخرة .. أما مبشرات الدنيا فتحكيها هذه الآيات :-

الآية ٦٢ من يونس (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) فهذه الآية بيان علي وجه التبشير والوعد لما هو نتيجة لأعمال المؤمنين .. وصدرت الجملة بحرفي التنبيه والتحقيق لزيادة ، تقرير مضمونها .. والولي في اللغة القريب والمراد بأولياء الله خاص المؤمنين لقربهم الروحاني منه سبحانه وتعالي كماسيتضح عنه عنه تفسيرهم .. ولا خوف عليهم في الدارين من لحوق مكروه ولاهم يحزنون من فوات مطلوب (١) ولا شك أن الخوف والحزن غير مسيطر عليهم لا في الدنيا ولا في الآخرة بدليل قوله بعده (لهم البشري في الحياة الدنيا والبشري تشيع البهجة وتزيل الأحزان والمخاوف ، أما الآخرة فقد أذهب الله عنهم الحزن لأنه غفور شكور .

أما آية طه (٤٠) وآيتا ٧،١٣ من القصص فهي تحكي طمأنة الله تعالي لأم سيدنا موسي عندما أمرها بإلقائه في اليم ثم إعادته اليها بعد ذلك لقصد ازالة حزنها ورفع خوفها عليه وكل ذلك وقع منها ومعه في الدنيا كتبشير قوي لأهل الخير في هذه الحياة فآية من طه تقول (إذ تمشي اختك فتقول هل ادلكم علي من يكفله

---

(١) أبو السعود صـ ١٥ جـ ٤

فرجعناك إلي امك كي تقر عينها ولا تحزن)

وآية ٧ من (وأوحينا إلي موسي أن أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين) وآية ١٣ (فرددناه إلي أمه كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق) ..

يقول الألوسي (ولا تخافي - عليه ضيعة أو شدة من عدم رضاعة في سن الرضاعة ولا تحزني - من مفارقتك إياه .. إنا رادوه إليك عن قريب بحيث تأمنين عليه ... والجملة تعليل للنهي عن الخوف والحزن وإيثار الجملة الإسمية وتصديرها بحرف التحقق للإعتناء بتحقيق مضمونها أي إنا فاعلون ردّه وجعله من المرسلين لا محالة [١]) .. وقريب من إزالة الخوف هنا إزالته عن لوط عليه السلام لما جاءته رسل الله تحكي آية ٣٣ من العنكبوت (ولما أن جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقالوا لا تخف ولا تحزن إنا منجوك واهلك إلا امرأتك كانت من الغابرين) ..

يقول الألوسي (رسلنا) المذكورين بعد مفارقتهم ابراهيم عليه السلام - سيء بهم أي اعتراه المساءة والغم بسبب الرسل مخافة أن يتعرض لهم قومه بسوء كما هو عادتهم مع الغرباء وقد جاءوا إليه (س) بصورة حسنة انسانية .. وقيل المعني لا تخف علينا وعليك ولا تحزن بما نفعله بقومك [٢] وواضح هنا نهيه وكفه عن الخوف والحزن وفي ذلك طمأنه وإراحه له عليه السلام ..

(١) الألوسي صـ ٤٥ جـ ٢٠ (٢) الألوسي صـ ١٥٥ جـ ٢٠

وأما آيتا فصلت (٣٠) والأحقاف (١٣) فهما (إ الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون) وآية الاحقاف (إذالذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) ..

وأبو السعود يشير إلي معني الاستقامة فيقول : (أي ثبتوا علي الاقرار ومقتضياته علي أن (ثم) للتراخي في الزمان أو الرتبة فإن الاستقامة لها الشأن كله .. وتتنزل عليهم الملائكة - من جهته تعالي يمدونهم فيما يعنّ لهم من الأمور الدينية والدنيوية بما يشرح صدورهم ويدفع عنهم الخوف والحزن (١)

اما المبشرات في الآخرة فآية الاعراف (أهؤلاء الذين أقسمتم لاينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون (٤٩) وآية ١٠٣ من الأنبياء (لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون ..) وآية ٣٤ من فاطر (وقالوا الحمد لله أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور) وآية ٦١ من الزمر (وينجي الله الذين اقضوا بمغازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون) وآية ٦ من الزخرف (يا عباد لا خوف عليكم اليوم وأنتم تحزنون) ..

فلا شك أن هذه الآيات سواء كانت محكية عما يقوله اهل الجنة وهم يرفلون فيها أو كانت تصوير لما سيلاقيه أهل الجنة في الآخرة فانه لا حزن ولا خوف في الآخرة بعد تبشيرات في الدنيا بالكون

(١) (١) أبو السعود صـ ١٢ جـ والكساف صـ ٤٥٣ جـ ٣

والتوفيق والهداية ..

فآية الاعراف كما يقول أبو السعود (أهؤلاء ..... برحمه ـ من تتمة قولهم للرجال والإشارة إلي ضعفاء المومنين الذين كانت الكفرة يحتقرونهم في الدنيا ويحلفون صريحا أنهم لا يدخلون الجنة .. ادخلوا الجنة ـ تلوين للخطاب وتوجيه إلي اولئك المذكورين أي ادخلوا الجنة علي رغم انفوهم) (١)

والألوسي يقول في آية الأنبياء (لا يحزنهم الفزع الاكبر ـ بيان لنجلتهم عن الافزاع بالكلية بعد نجاتهم من النار لأنهم إذا لم يحزنهم اكبر الافزاع لم يحزنهم ما عداه بالضرورة) (٢) وآية قاطر يقول فيها أبو السعود (وقالوا ـ أي يقولون ـ وصيغة الماضي للدلالة علي التحقيق (٣) وآية الزمر واضحة فالمفازة مصدر ميمي إما من فاز بالمطلوب أي ظفر به واما من فاز منه أي نجا منه والباء للملابسة (٤) وأما آية الزخرف فهي حكاية لما ينادي به المتقون المتحابون في الله يومئذ تشريفا لهم وتطييبا لقلوبهم (٥).....

جعلنا الله من المبشرين في الدنيا وفي الآخرة بكل ما يشيع البهجة ويزيل الخوف والحزن ـ وصلي الله وسلم علي سيدنا رسول الله وعلي آله وصحبه آمين .

دكتور
يحيي محمد يحيي
مدرس البلاغة بالكلية

(١) أبو السعود صـ ٢٣٠ جـ ٣
(٢) الألوسي صـ ٩ جـ ١٧ (٣) أبو السعود صـ ١٥٣ جـ ١
والزمخشري صـ ٣١٠ جـ ٣ (٤) صـ ٢٦ جـ ٧ أبو السعود
(٥) صـ ٨٤ جـ أبو السعود ..